تمهيد

لم يكنْ يَتصورْ، أو يَتوقعْ كاتب هذه السطور، أن يكتبَ يوما حول نتاج علمي لفتى عرفه في نهاية الخمسينيات، أو أن يفتح غرفة ثرة من غرف نتاجاته العلمية، هذا الفتى الذي كان يعيش في بيئة ومناخ مريرين، بجانب إحدى زوايا مدينة دمشق القديمة، حين عرفته يعمل بنفس المكان الذي أعمل فيه، ها هو اليوم يتقدم الصفوف وأي صفوف ؟ إنها صفوف رجال العلم والمعرفة في عطاءاته العلمية.

إنني وجدت وأجد في هذا الفتى تحدياً للمستحيل، لأنه فعلا قد تحدى المستحيل ولكنني أعتقد أن قدرات مكوناته العقلية الذاتية غير المنظورة آنذاك، كانت كامنة و هي تدرك دون أن تُفصح أو تُظهر، بأنها لو حُركت وصُقلت وسُلحت، لابد آتية دون ريب لأن عقل الإنسان كمصدر للخلق والابداع والابتكار، وكحاضن لمواهبه يعلم يقينا ويُعلم، وبدون أن يستخدم لغة تكتب أو تقال لأن لغة العقل تتجسد في نتاج ملموس أطلقنا عليه اسم الإبداع هذا الإبداع الذي يتحدث عن حاضنه وعن نفسه، وكما قال العلامة العربي ابن خلدون: {إن العقل أحكامه يقينية لا كذب فيها} ولكن علينا ألا نمتحن العقل، لمجرد أن نمتحنه ونضعه في عالم المحالات، لأن يقينيته لا لبس فيها (لذلك فإن معرفة العقل الكلية بالمستحيل تجعله يعلم بأن المستحيل لابد وأن يترك بعض النوافذ لأصحاب الإرادة الصلدة، لاختراقها إن أرادوا الصعود).

نعم من لم يكن يتصور أو يتوقع حدوثه في تلك الأيام، فعلاً إنه قد حصل هذه الأيام، وها أنا أفتح أيقونة من أيقوناته الصادرة تحت عنوان (الإدارة بالإبداع) لكي أغوص بين كلياتها وجزئياتها ناقدا أو مثمناً، مضيفاً أم معجباً، ولكنني سأترك له الخيار، بعد أن يقرأ محاولتي هذه كي يقرر في أي مكانة أو إطار يصنفها، ولكي أعود وأناقشه في خياره هذا لأنه يعرفني حق المعرفة، كيف أفكر وكيف

أمارس، لأنني أشعر بأنني أحملُ بعض سمات الشاعر مالك ابن الريب، الذي أحببته، حينما قال: في شطر بيت شعري من قصيدة له { فقد كنت صعبا قياديا} وأعتقد أني لازلت هكذا، فهذا الفتى هو رفيق الصبا والطموح والمسير والمسار العلمي والوطني، على كل حال و كما يقول: الأخوة المصريون" ربنا يستر "فلنبدأ..

obeikandl.com

الإبـداع في الادارة و الإدارة بـالإبـداع

بعد قراءتي للكتاب القيم الذي وضعه الدكتور سليم الحسنية، والذي فتح نافذة جديدة يطل من خلالها هذه المرة من حاز أو أُوتي قدرات إبداعية كامنة أو قدرات مكتسبة صُقلت أو كُشفت بفعل حائزها أو مُلاحظها أو مُلامسها، أومن خلال من يتحسس معالمها المُبشِّرة إذ أصبح لديه مرجعاً جديداً، فيه المزيد لمن يبحث من المبدعين من أبناء شعبنا عن مرجع، ويريد أن يلجْ هذا الحقل الخصيب والمعقد بآن معاً، ومن يريد من القادة الاداريين والمنتجين والعلميين وحتى السياسيين، الذين توفرت لديهم القدرات الذاتية أو الموضوعية من خصائص الابداع أن يضعوا أو يتركوا بصماتهم في مسارهم الحياتي والمهني، هذا الكتاب الذي تم وضعه، من قبل كاتب عرفته عن قرب، والذي لم يرقه يوماً أن يسلك دربا سهلة، أو ممهدة أو معبدة، حيث يحط دائماً فوق الروابي الشاهقة، ليهبط عنها بإرادته، أو يعود لصعودها وهو أكثر إدراكاً لإضافة خصائص أهم في تكوينها البنيوي من قاعدتها حتى قمتها، يختار دائما السبل الشائكة بعد أن يسبر أغوارها، أو يزيل أشواكها، او يختار الطرق الوعرة ليتحدى معوقاتها ومنغصاتها وليقطع المسافات فوقها، وهو يترك خلفه بساطا أخضر، أو حصاداً وفيراً بحجمه ونوعه أو يترك منصات انطلاق دالة على أهداف قريبة و بعيدة تستحق العناء.

هذا الكاتب الذي تحدى معجزات الفقر والفاقة، ووعورة السبل على أنواعها وتعقيداتها وتعامل مع العقول، على مختلف مشاربها ومستوياتها الاجتماعية والفكرية، وعلى تنوع نظراتها البعيدة والمتوسطة والقريبة.

هذا الرجل الذي أراد أن يجعل من تائهٍ في ضباب المدينة (رجلاً صالحاً مبدعاً وذي شأن) بل أراد أن يحيله من رجل لا منتمي، لا يمتلك سلاحاً في مواجهة أي مواجهة، أو عائق يعيق سبيله، إلى إنسانٍ منتمٍ يحمل رسالة، ويمتلك الأسلحة التي يخلقها

obeikandl.com

بنفسه لنفسه ولغيره، نتيجة تفعيل مداركه العقلية، وتحفيز قدراته العلمية والفيزيائية، التي أراد لها الزمن ومعاناته أن تبقى حبيسة لولا أنه ثار عليه وأرداه.

هذا الشاب الذي يتدفق حيوية، كانت تتناثر مكوناتها هنا وهناك، لو(جَبُن) أو بقي على نفس الضفة التي تترصده من خلالها تلك المشتتات، التي لا ذنب له في وجودها، ولافي تطويقها إياه ولغيره من أترابه الذين يعيشون الظروف نفسها، هذه القدرات الذهنية والعقلية، لم تكن بحاجة إلا إلى ومضان شرارة بسيطة تضيء البداية، وتحرر تلك الطاقات، لتنطلق من مكامنها، ذاك الومضان الذي لا يمكن أن يتم بزوغه، إلا بإرادة صاحبه الذي تكمن في كيانه وقود ذاك البزوغ.

هذه الحال التي تفاعلت في الكيان البسيط لهذا الشاب، وتمخضت عن مفاجآت نادرة، حملت على متنها وبين ثناياها طموحات واعدة، لقدرات زاخرة كامنة في أعماق ذاتية بكر، تحجبها عن النور أغشية كنسيج العنكبوت، هذه الأغشية التي تتالى زوالها، بعد أن بدأ المسار، فظن البعض أن الصدفة هي التي فعلت فعلها، ليحضر من بعيد، هذا القادم من أماكن ليست على بال، ومن ظروف غير طبيعية، يطلب العلم والدراسة من خارج المدارس التقليدية، وكأنه ورفيق دربه جاءا من كوكب آخر، ليلجا إلى هذه المحافل (الحلم) بالنسبة لأمثالهما آنذاك دون أن يلتفت هذا البعض، إلى فعل المكان والزمان والمحيط، وما تتركه مثل هذه العوامل من آثار ايجابية وسلبية على فتية تنتمي الى شريحة متواضعة كشريحتهم وإن كانوا ينحدرون من أصول كريمة.

تلك الصورة التي تمر من أمام ناظري كشريط سينمائي مسجل، يحمل صور وذكريات الزمن الماضي، تلك الصور التي رسمت بل حملت مشاعل الزمن القادم، هذه الذكريات التي جسدتها إرادة فتية وقدرات ذاتية فعلت فعلها في التخلف والفقر والجهل ، وارتقت الى منصات التأثير والقيادة والخلق والابداع، إن ما أشير إليه ليس خاطرة أدبية منثورة، ولا قصيدة شعرية مكتوبة تعبر عن حدث معين صوّره (كاتب مفوه أو شاعر مبدع عشقا أم اللغات (العربية الغراء)، بل كانت

ملحمة بناء بناءة وحقيقية، تصدت لها إرادات تغذيها تلك القدرات التي لم يحسب لها البعض حساباً في البداية، رغم أنها تستحق أكثر من خاطرة ومعلقة وقصيدة تليق بها و بتوصيفها، لأنها أصبحت حقيقة حية فيما بعد تعيشها الخاصة والعامة و تواكب دورها الذي تتحدث عنه انجازاتهما، في أكثر من حقل ومجال.
لقد أردت أن أدخل الخاص بالعام بعض الشي، وليغفر لي القارئ الكريم لأنني لا أستطيع أن أدخل هذا المحراب إلا من خلال هذا المدخل إلى علوم ومفردات كتاب (د. سليم الحسنية).

وبالعودة إلى كتاب (الإدارة بالإبداع)، فقد لفتتني أفكار عديدة حول وضعه من حيث الشكل والمضمون، وقد أردت أن اضع بعض الملاحظات، التي أراها مفيدة، رغم أني لست في صلب الاختصاص، إلا أن توخي الفائدة والحرص عليها، واستجابةً للأمانة العلمية، والصداقة النقية، وجدت نفسي في سويداء المحاولة مجتهداً متمنياً أن أفلح وأصيب، لأحظى من الدكتور حسنية(أجرين) وإن لم أفلح وأصيب فسيبقى لي يتيمي الوحيد (أجر واحد، والقناعة كنز لا يفنى).

والحقيقة أنني لم أدر لماذا انغمست في هذه المعمعة أو هذا الخضم بإرادتي، ولماذا أُطلقت دلوياً للغوص في أعماق محيطات العقل والفكر والإبداع بين دلاء أحبة، منهم الدكتور حسنية الذين لهم باع طويل في هذا المجال الجليل، فعلى كل حال على الله الاتكال وأنا أعرف د. سليم كريم النفس و يغفر زلات الكرام لأنه منهم، ومحاولتي هذه لا يمكنها أن تقلل من أهمية الفكر الذي جاء بين دفتي إبداعه، والذي جاء من منطلقات تعبر عن تجربة ثرية وغنية له، تتساوق أفكارها تحت بنود وفقرات تعكس العنوان الرئيس ((الادارة بالإبداع – نحو بناء منهج نُظُمي.

.ملاحظات أولية:

في البداية لقد وجدت بحوزتي ملاحظات أولية، أرى لو روعي عند وضع المُؤلفْ الكريم لهذا النتاج القيم، لسهل على القارئ الوصول إلى الأفكار المبتكرة التي

تمخض عنها فكر كاتب الكتاب بيسر مستوعب، ودون عناء كبير ومن هذه الافكار التي أراها والتي قد تجعلني مصيبا أم مخطئا ، هي الآتية:

الملاحظة الأولى:

القراءة الدقيقة الأولى والثانية لهذا المؤلف الهام وجدته يحمل عناوين متنوعة ومتشعبة وطموحة من " وضع د. حسنية " ومن سواه ، هذه العناوين التي يستحق كل عنوان منها مؤلف مستقل بذاته توخيا للفائدة ورغبة في عدم قدرة البعض على الإلمام بجلها، أو القدرة على الربط فيما بينها إلا بعد عناء قد لا يدركه إلا الكاتب نفسه، ولذلك فأنا أنظر إلى حالي وحال أمثالي في هذا المجال، من الذين يتشوقون إلى مثل هذه النتاجات التي يحتاجنا جيلنا في حاضره ومستقبله.

كم كنت أتمنى أن يتوسع الكاتب في إلقاء الضوء على ساحات الإبداع في عدد معين من مجالاته لأن هذا النتاج كما أشرت يحتضن بين دفتيه ، ذخائر علمية ثره لواضعه ولغيره قد تستلزم أكثر من مؤلف كهذا، وكم كنت متشوق أكثر لرأي الدكتور "حسنية" التجريبي في كل مجال يحدده، وأقول ذلك طمعا بتضمين هذا الرأي الذي نجده في كل فقرة من فقرات هذا المحيط، نجدها سابحة تستنجد بمقومات ومعطيات تستلزمها ترجوها من واضعها نفسه، لما يمتلك من تجربة غنية بدأت من ألف باء الحياة والعلم إلى مشارف يائها، للتسهيل على القراء والتلامذة في بلوغ المبتغى، ولنستقي أكثر مما يحتضن معينه هذا، وأعتقد إنه المبتغى الذي ينشده (د. سليم) هذا التصور الذي تكمله (المصادر التي أبحر د حسنية في أعماقها، واستقى واستلهم منها كل ماله صلة وفائدة في موضوعنا هذا، هذه المصادر التي يحكيها البيان الخاص بها، والتي تُسمَّي المنطلقات الفكرية الخاصة في (الإدارة بالإبداع) الذي يزيد ظما بين يدينا من عطاء و ثراء.

الملاحظة الثانية:

إنني أنتمي والكاتب إلى نفس البيئة والمعاناة وكلانا ينشد نفس الأهداف، و إن اختلفت السبل بعض الشيء، إلاَّ أن تلك السبل "توازت" في كثير من الأحيان مع

obeikandl.com

بعضها بعضاً، بل والتقت وتكاملت عند محطات عديدة مُشَرِفة في بعضها الآخر، هذه المعاناة التي قد يُقتدى بها في كثير من مراحلها، وهذا الذي أعتقد من جانبي . وهنا تلح عليَ ملاحظة تتجانس مع فكري، و تنتابني رغبة ملحة تحرك أمنياتي في أن تضاف إلى ساحات الكتاب المضاءة من قبل الدكتور سليم، تلك الإضافات التي أقترحها تتناول العوامل المؤثرة التالية في الإبداع مثل:

العوامل المادية المتمثلة في الطبيعة وما تكتنزه ظاهرا وباطناً، وفي **الحيوية** التي يتميز بها الكائن الحي العاقل وسواه وحتى النبات، لأن جميع هذه المكونات تلعب دوراً في تكوين رؤية تسهم في إغناء خيال المبدع والتي قد تقوده إلى نتيجة لم نكن نتوخاها في الإبداع .

الملاحظة الثالثة:

لقد حفز المؤلِفْ والمُؤلَفْ تفكيري وحفزني، وجعلني ألملم شتات جهدي لأُقدِمْ وأُدلي بدلوي بين الدلاء، وأنا أبحث عن المفيد الأوسع، الذي يمكن أن يرتقي إلى الخصائص التي يتسم بها الإبداع المنشود مثل خصائص: التفرد في المبدع – والنزوع الاستكمالي - وتلبية الحاجات الكلية والجزئية، تلك الخصائص التي تكملها السمات الإقليمية - و المهنية - وسمة الديمومة الإبداع.

والذي أقصده في المفردات المتقدم ذكرها، والتي يأتي في مقدمتها الحيز الإقليمي" المكاني" حيث يتواجد المبدعون على مساحة اليابسة من سهول وجبال وماء وغابات وصحارى ويتطلعون إلى الفضاء والسماء، هذه المتفرقات والمتنوعات المكانية تشكل بمجملها مطارح بيئية، نعتقد ونؤمن بأنها تؤثر بالمبدع كما يؤثر المبدع بها، وبكل ما فيها من مساحة وعمق وشمول، خاصة وأن هذه المفردات تحوز عوامل هامة تزود عقل المبدع بمعطياتها البيئية، لأنني أعتقد أيضاً بأن إبداع المبدع، الذي يعيش البيئة الصحراوية، هو غيره في المناطق الخضراء والساحلية، والإبداع في المناطق الزراعية هو غيره في المناطق الصناعية ولا ينفصل عنه وهكذا الأمر في المناطق الجبلية والمناطق القطبية... الخ .

obeikandl.com

الملاحظة الرابعة:

كما أرى بأن الإضاءة على خصائص المبدع مثل: (العقلانية – العلمية– الثقة بالنفس والجرأة والإقدام والتضحية – بالإضافة إلى التجربة والخبرة – والقناعة النهائية بالنتيجة والإنتاجية للإبداع)

رغم أن هذه الخصائص بمجملها قد نجدها مستغرقة ضمن العوامل الموضوعية والذاتية، إلا أنها جديرة بأن تُولى الاهتمام والعناية وذلك من خلال كشف وإظهار خصائصها وتوصيف تأثير المبدع والإبداع وتأثره بهذه الخصائص، التي لا يمكننا أن نتصور حياديتها في العملية الإبداعية.

لهذا فإنني سوف أحاول التحدث حول بعض هذه العوامل، أو جلها وباختصار قبل الحديث عن الإبداع في الإدارة أو الإبداع بشكل عام، علها تسعفني فيما أنا مقدم إليه، لكونها عوامل فاعلة ومؤثرة ومحفزة كما أشرت للمبدعين والإبداع، كما أنني لن أخوض في المحيط العلمي الجامع الذي يتسم به هذا المُؤلَفْ ، الذي وضعه الدكتور حسنية، بل سأقصر الحديث والبحث إن شئت عن المبدع والإبداع وتأثيره وتأثره بكل ما يحيط به، وأرى بأن الإشارة إلى بعض العوامل الموضوعية والذاتية، قد تُظهرْ بعض المعالم التي أجدها تلوذ خجولة في أطر بحثية متشابكة وعميقة حيث أزعم بأنني اقدم أسلوباً سهلاً في الكتابة والبحث، قد تجعل القارئ شاكراً، أو ناقدا لما أقدمتُ عليه:

وبما (إننا لازلنا على الشاطئ)، فلا بد لنا من أن نضع القارئ في صورة وسائلنا، ونحن نسعى الى الهدف، وقبل هذا وذاك لابد من تعريف الهدف الذي نحن بصدده والمتمثل فيما يلي.